(( **اجتنبوا كثيراً من الظن** ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب :

<https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3_Hje4JaCw>

الأولى

تقول صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ : كَانَ النَّبِيُّ مُعْتَكِفًا، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ، ثُمَّ قُمْتُ لِأَنْقَلِبَ، فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي، وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ : «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» فَقَالَا: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا، قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا» أَوْ قَالَ «شَيْئًا». متفق عليه .

موقف رائع ، وتوجيه نبوي عظيم ..

يا ترى متى كان هذا الموقف ؟

في أي زمان ؟ وفي أي مكان ؟

ومن يروي تفاصيله ؟

أما الزمان ففي شهر رمضان وفي العشر الأواخر.

وأما المكان ففي مسجد رسول الله .

وترويه صفية زوج النبي .

رسول الله في مسجده ومعتكفه ، وفي خلوته ، ومتعبده ؟

تزوره زوجته صفية > .

وبعد ما أرخى الليل سدوله ، واشتد الظلام ، وغدا الطريق موحشاً ، قام النبي من معتكفه مرافقاً لزوجته الطاهرة النقية حتى لا يساورها الخوف ، ويخالجها الفزع ، وهنا وفي هذا الليل المظلم.

مرّ رجلان من أصحاب النبي ، فأبصرا في ظلمة الليل رسول الله ، وبجواره امرأة قد حجبها الليل بسواده ، والحجاب بستره وغطائه فاستحيا من رسول الله .

فأسرعا الخطى ولم يخطر في بالهما إلا خيراً ، وإذا بطبيب القلوب وحبيب النفوس ، والعالم بخطوات الشيطان وحبائله .

خشى أن يفعل الشيطان في النفوس فعلته .

ويزرع في النفوس ريباً وشكاً .

خشي من داء سوء الظن المقيت .

فقطعاً لسوء الظن ، وسوءُ الظنّ بالأنبياء كفر ، وبعباده ذنب عظيم .

قال : «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ»

توقف الرجلان وذهلا من حديث رسول الله لهما

فَقَالَا: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا أن يقع منهما سوء ظن برسول الله .

فقال قولته العظيمة : «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا» أَوْ قَالَ «شَيْئًا»

شعار هذا الموقف وعنوانه حسن الظن بالمؤمنين

قال الإمام النووي ~ : فَإِنَّ ظَنَّ السُّوءِ بِالْأَنْبِيَاءِ كُفْرٌ بِالْإِجْمَاعِ وَالْكَبَائِرُ غَيْرُ جَائِزَةٍ عَلَيْهِمْ. شرح النووي على مسلم (14/ 156)

سوء الظن يؤجج مشاعر الحقد والكراهية ، ويمزق الروابط الاجتماعية ، فكم قطعت من أرحام ؟

وكم طلقت من زوجات ؟ وكم فشلت من تجارات ؟

وكم شرد من عيال ؟ وكم أزهقت من أرواح ؟

وكم سجن من أناس ؟

بسبب سوء الظن

نفوس تحطمت ، وبيوت تهدمت ، وحكام ، وعلماء، وكبار ، وأولياء دنّست أعراضهم بسبب سوء الظن.

سوءُ الظن بلاءٌ خطير ، وشرٌّ مستطير ، قلَّ من سلم منه .

قف على مجالس الأخيار فضلاً عن غيرهم تسمع فيها ما تشمئز منه النفوس من همز ، وغمز ، ولمز ، وحكمٍ وجزم بسبب سوء الظن .

فلانٌ قصدا كذا، وفلانة أرادت كذا، وهذا يريد كذا.

اتهامٌ في النيّات ، وقذفٌ للمحصنات نراه في مجالسنا واعلامنا ، فكم من رجل طاهر تقي اتهم في عقيدته ، وقذف في عرضه ، واستهزئ بحاله ومقاله ؟

كم من امرأة عفيفة طاهرة، طعنت في عرضها، وقذفت في سلوكها وأخلاقها خرجت لحاجة في ظلمة ليل أو صحوة نهار ، فلاكت فيها الألسن ، وانتهشتها مقالة السوء بل ربما قذفت في عرضها ؟

والله تعالى يقول : ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ النور: ٤

وقال تعالى : ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ النور: ٢٣

من هنا جاءت الشريعة بحفظ حقوق الناس وأعراضهم .

عش معي هذا الموقف يقول أسامة بن زيد > : بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ @ فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ @ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ @: «أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ . رواه مسلم .

أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ ، والله يا قوم إن موقفاً هكذا يدعونا جميعاً للكفّ عن مقاصد الناس ونياتهم والحذر كلّ الحذر من سوء الظن بعباد الله ، فلا يعلم بالنيّات إلاّ ربّ الأرض والسماوات .

الله أكبر «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ ؟»

أَفَلَا شَقَقْتَ عن قلب أخيك لتعلم عن عدم ردّه للسلام عليك ؟

أَفَلَا شَقَقْتَ عن قلب أخيك لترى لماذا لم يزرك منذ زمن ولم يرد على اتصالك ورسالتك؟

هل أحسنت الظن به؟

فقلت لعلّه مريض ، لعلّه نسي ، لعلّه مشغول فالتمست له عذراً .

إذا ساءَ فِعْلُ المرْءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ

وَصَدَقَ مَا يَعتَادُهُ من تَوَهُّمِ

وَعَادَى مُحِبّيهِ بقَوْلِ عُداتِهِ

وَأصْبَحَ في لَيلٍ منَ الشّكّ مُظلِمِ

أفلا شققت عن قلب أخيك لتعلم ماذا قصد عندما قال كذا وماذا نوى عندما فعل كذا وكتب كذا؟

دخل الربيع بن سليمان على الشافعي ~ وهو مريض فقال له : «قَوَّى اللَّهُ ضَعْفَكَ» أخطأ في التعبير. فَقَالَ الشافعي : «لَوْ قَوَّى الله ضَعْفِي قَتَلَنِي» . فَقُلْتُ : «وَاللَّهِ ، مَا أَرَدْتُ إِلا الْخَيْرَ» . قَالَ : أَعْلَمُ أَنَّكَ لَوْ شَتَمْتَنِي لَمْ تُرِدْ إِلا الْخَيْرَ. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (2/ 135)

أفلا شققت عن قلب زوجتك لتعلم لماذا لم تستجب لطلبك وأمرك؟ ولماذا أساءت في خطابها وجوابها؟

ألا يمكن أن تكون في لحظة غضب ونزغة شيطان؟

ألا يمكن أن تكون في لحظة تعب بدني، وإرهاق ذهني؟

استمع لهذا الموقف النبوي مع رجل زلت به القدم في سوء ظنٍ أوقعه في الشك في أهل بيته ، يقول أبو هريرة > جاء رجل من بني فزارة إلى النبي @ فقال: إن امرأتي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ، وَإِنِّي أَنْكَرْتُهُ، وفي رواية ( وَكَأَنَّهُ يُعَرِّضُ أَنْ يَنْتَفِيَ مِنْهُ ) تخيل هذا الموقف ، رجلٌ عربيٌ غيور ، جاء ثائر النَّفسِ ، والنَّفَس ، وكأنّه يُعَرِّضُ بقذف زوجته بالزنا ، فالزوجان أبيضان والولد أسود، فمن أين جاء الغلام أسودا؟ فساء الظن بأهل بيته ، وإذا بطبيب القلوب وصاحب الخلق العظيم @ يعالج سوء الظنّ الذي وقع فيه هذا الصحابي بحكمته، ويحفظه من وسوسة ونزغ شيطانه ، فيقول له@: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» تأمل هذا السؤال والقياس البديع، «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا أَلْوَانُهَا؟» قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «فَهَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟» (أي : لَوْنُهُ كَلَوْنِ الرَّمَادِ([[1]](#footnote-1))) قَالَ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللهِ @: «فَأَنَّى هُوَ؟» قَالَ: لَعَلَّهُ يَا رَسُولَ اللهِ يَكُونُ نَزَعَهُ عِرْقٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ @: «وَهَذَا لَعَلَّهُ يَكُونُ نَزَعَهُ عِرْقٌ لَهُ» رواه مسلم .

وإذا بالرجل ينطفئ غضبه وتهدئ نفسه ويحسن الظن بأهل بيته.

أفلا شققت عن قلب العالِم أو الداعية أو الخطيب لتعلم ماذا أراد بفتواه ؟

وماذا قصد بخطبته ، ودرسه ، ووعظه ، يقول مكحول: رَأَيْتُ رَجُلًا يُصَلِّي، وَكُلَّمَا رَكَعَ وَسَجَدَ بَكَى، فَاتَّهَمْتُهُ أَنَّهُ يُرَائِي بِبُكَائِهِ ، فَحُرِمْتُ الْبُكَاءَ سَنَةً.

تاريخ دمشق لابن عساكر (60/ 223)

ونبينا @ يقول : «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ» متفق عليه .

يا كرام إن البعض منّا قد نصب نفسه إلهاً للحكم على الناس في نياتهم ومقاصدهم ، وقذفهم في أعراضهم.

ما أَجْمَلَ ظن أبي أيوب الأنصاري > في الزوجة الطاهرة عائشة < في حادثة الإفك التي خلدها الله في القرآن ، فعندما دخل أبو أيوب على زوجته قالت له زوجته : يَا أَبَا أَيُّوبَ، أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ؟ قَالَ بَلَى، وَذَلِكَ الْكَذِبُ، أَكُنْتِ يَا أُمَّ أَيُّوبَ فَاعِلَةً ذَلِكَ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَفْعَلُهُ قَالَ: فَعَائِشَةُ خَيْرٌ مِنْكِ. فأنزل الله : ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭼ النور: ١٢

تاريخ المدينة لابن شبة (1/ 335)

أَقُولُ قُولِي هَذَا وَاسْتَغْفِر اللهَ العَظِيمَ ....

الثانية

رجل اسمه عبدالله وكان يلقب حِمَارًا ، وكان يؤتى به إلى رسول @ فيجلده بسبب إدمانه للخمر فقال رجل من الصحابة : اللَّهُمَّ العَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ @: «لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» رواه البخاري .

الله أكبر ..

ما أعظمه من نبي ،، وما أجمله من توجيه .

إغلاق لباب سوء الظن بالمسلمين وإظهار لحسن الظن بالمؤمنين ولو زلّت بهم القدم .

يا كرام إن علم الغيب لا يعلمه إلا الله ، وإن سرائر الناس لم يطلع عليها أحد ، فكيف نحكم على الناس بظن لا يغني من الله شيئاً ؟

سوء الظن يا كرام كارثة عظيمة زلّت فيه أقدامنا .

امرأة تتصل بي قبل أيام فتحكي عن قذف ولدها وفلذة كبدها لها في عرضها بسبب خروجها في حاجة لها .

يا كرام لقد اتفق العلماء على أن من قذف مسلماً في أهله وعرضه فإنه يجلد بثمانين جلدة ، ولا تقبل له شهادة ، بل وحكم الله عليه بالفسق ، قال تعالى : ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ النور: ٤

يا قوم .. مهما بلغت بنا الشكوك والظنون فالتثبّت والتأنّي سيمَا المؤمنين ، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭬ ﭭ ﭮﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ الحجرات: ١٢

أمر إلهي باجتناب كثير من الظن فإنّ بعض الظن إثم فيجتنب المؤمن الكثيرَ من الظن من أجل منع القليل قال @ : «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»

متفق عليه .

عبد الله إنّ المؤمن يلتمس المعاذير، والمنافق يطلب الزلات فخبايا النفوس وأسرارها سريرة بين العبد وربه ، أما أنا وأنت فليس لنا من إخواننا إلا الظاهر من عمله ، فها هو عمر بن الخطاب > يقول : " إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ @ وَإِنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا، أَمِنَّاهُ، وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ " رواه البخاري.

وسعيد بن المسيب ~ يقول: (كتب إليَّ بعضُ إخواني من أصحاب رسول الله @: أَنْ ضَعْ أَمْرَ أخيك على أحْسَنِه، ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنَّنَّ بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرًّا؛ وأنت تجد لها من الخير محملاً، ومَنْ عَرَّضَ نفسَه للتُّهم، فلا يلومنَّ مَنْ أساء به الظنَّ) .شعب الإيمان (10/ 560)

وختاماً ينبغي للمسلم أن لا يعرض نفسه لمواطن التهم

ولهذا قال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ > ، قَالَ: مَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلتُّهْمَةِ فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ . الزهد لأبي داود (ص: 98)

ومرَّ عمر > برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدّرة، فقال: يا أمير المؤمنين، إنها امرأتي، فقال> : "هلا حيث لا يراك أحد من الناس" إحياء علوم الدين (2/ 202) .

1. **() المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (2/ 656) .** [↑](#footnote-ref-1)